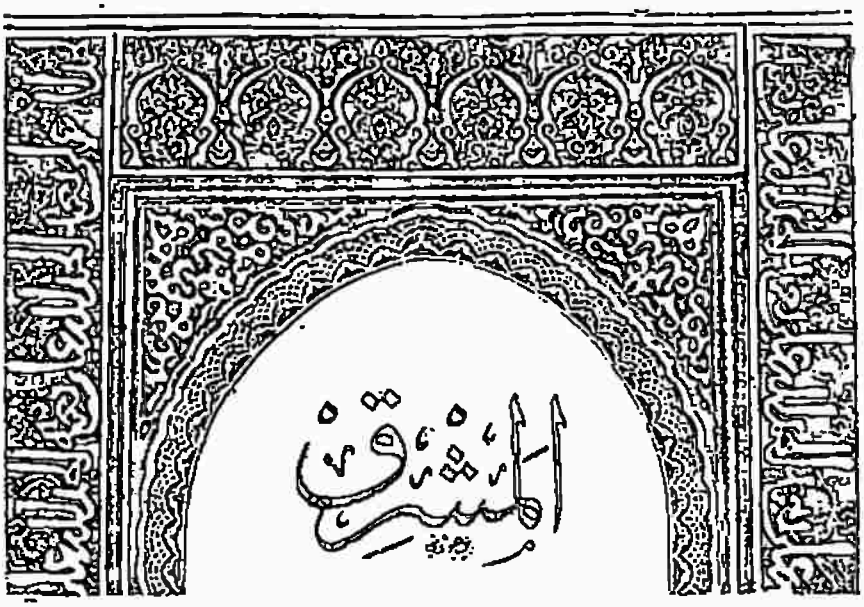

كانون الاول ١٩٣٠

في النعمة : ٣

مفاعيل النعمة وموقفنا تجاهها

انا الكرمة وانتم الاغصان ، من يثبت فيَّ وانا فيه فهو يأتي بثمر كثير
(يوحنا ١٥ : ٥)

بقلم حضرة الاب ا . س . مرسجي الدومنيكي

النعمة . عون فائق الطبيعة يهبه الله الانسان ، فيمكنه العيش في الارض ، عيشةً ملائمة دعوته السماوية ، وهي رؤيته ، عزّ وجلّ ، ومحبته والتمتع بحياته مدى الابدية . على ان في البشرية ينبوع حياةٍ استمدّت هي ولا تزال تستمد منه قواها وخواصها . وهذه الحياة الطبيعية وما يتعلق بها قد اتتنا من الخالق بواسطة ابينا ، ورأس جنسنا الاول ، وهو آدم . بيد انه اذ كان بمعصيته قد صار سيئاً لان ينقطع عنا مجرى الحياة العلوية ، التي كان الرب قد منحها له ولذريته ، ترحم الله علينا

فاقام لنا رأساً ثانياً ، وهو يسوع المسيح ، الكلمة المتجسد ، الذي اضحى لنا ينبوعاً فياضاً لجميع النعم التي نحن في حاجة اليها ؛ فاقتضى لنا ان ننضم الى هذا الرأس انضمام الاعضاء الجسدية الى رأسها لكي تجري في حياتنا النعم الالهية ، كما يجري الدم في عروق ابداننا . هذا ملخص ما رأيناه في المقالين السابقين .

على ان النعمة قوة ، ومن شأن القوة انها حيثما عبرت او فعلت فعلها ، ابقت لها اثراً او مفعولاً . ولهذا فبعد ما درسنا ضرورة النعمة وينبوعها ، لنرَ ما هي الآثار او المفاعيل التي تتركها في نفوسنا ، ثم كيف يجب ان يكون موقفنا او تصرفنا نظراً اليها .

* * *

اخص مفاعيل النعمة فينا مفعولان اولها انها تفيض في نفسنا حياة جديدة فائقة حياتنا الطبيعية ؛ ومن هذه الحياة ينشأ ثلاث خواص ، او فضائل مقامة تدعى الفضائل الالهية اي الايمان ، والرجاء ، والمحبة . وهي الهية من حيث مصدرها وهو الله راساً ؛ ومن حيث قوامها ، فانها لا تحوي شيئاً من الطبيعة كالفضائل الادبية ؛ ومن حيث موضوعها ، فان الباري عينه هو المعروف والمرجو والمحبوب بها بنوع فائق الطبيعة .

فالعطية الاولى اذن هي الايمان ؛ اي ذاك النور السري الذي يرينا الحقائق الموحى بها من لدنه تعالى . ولذا فالنفس الحاصلة على النعمة يسطع فيها نور الله وتظهر لها الاشياء بمظهر جديد . فهي قريبة من الله ، وتراه احسن مرأى . وهذا ما عنى به الرب يسوع بقوله : « طوبى لانقياء القلب ، فانهم يعاينون الله . » مما دل على انهم مدعوون ليس لمشاهدته في الابدية وحسب ، بل منذ الآن يرونه رؤية ما ، اي في تعاليم انجيله الطاهر وكنيسته المقدسة ، وحوادث التاريخ ، والاعمال العجيبة الناجمة عن قدرته .

يضاف الى الايمان فضيلة الرجاء ، تلك القوة التي تدفعنا الى الله تعالى ، وتنشئ فينا الاعتماد على مواعيده ، والثقة بافضال يسوع . وهذا ما يجعل النفس تقف حق الوقوف على حقيقة الحياة ، فتصرخ مع الرسول بولس قائلة : « ليس

لنا هنا مدينة باقية ، لكن نطلب الآتية . » اجل ان هذه الدنيا ملأى بالهموم والاكدار ، بيد ان مصائبها تزول . واما ما يعقبها من المجد فهو دائم الى الابد . « لان ضيقنا الحالي الخفيف ينشئ لنا ثقل مجد ابديًا لا حد لسموه . » ومن ثم فاحرِ بنا ان نستلي مع الرسول القائل: «اني راغب ان انحل فأكون مع المسيح ، وذلك افضل لي بكثير . » واذا اقبل اوان الحرب الروحية ، فالنفس تشعر بذاتها متذرعة بقوة فائقة للجهاد ، وآملة الظفر النهائي .

بعد الرجاء تأتي فضيلة المحبة ، تلك الطية المفاضة التي تصلنا بالله صلة بنوية ، فنجسر ان ندعوه باسم الثقة والرقة « ابانا » ، اي اننا لا نكتفي ان نخشاه كما يخشى القاضي العادل ، او ان نحترمه كما يحترم السيد الملك ، بل نسعى في ان نقرّب قلوبنا من قلبه ؛ فحينئذ نحسّ نفسنا ان قد نشأ بينها وبينه نوع من المساواة المتولدة من الصداقة .

هـذا ما يصدر من حالة النعمة . اجل انها لامور غير منظورة بذاتها ، لكن يتحقق وجودها بقوة الافعال الناشئة عنها . اذ من ينبوعها يصدر ذاك اليقين الثابت الذي نلاحظه في القديسين ؛ وتلك التضحيات التي بها يحتقرون الدنيا ، ويلتهبون بمحبة الله الفائقة . من اي ينبوع يا ترى الّا من هذا الينبوع صدرت شجاعة اغناطيوس النوري الذي كان يترنم طرباً لحصوله على ذاك الشرف العظيم وهو ان يطحن حبًّا بيسوع تحت انياب الوحوش الضارية ، كما تطحن الحنطة ؛ او انخطافات القديسة تريزية ، والقديسة كاترينة السيانية ، في وسط التجارب والمحن القاسية ؟

نجد لهذا المفعول ، مفعول النعمة ، رمزًا في حادث من حوادث حياة السيد المسيح . فانه حين تجلّى على جبل طابور ، ظهر لاهوته هنيهة من خلال ناسوته ؛ فصار وجهه يلمع كالشمس ؛ واضحت ثيابه بيضاء كالثلج ؛ ثم سُمع صوت من السماء يقول : « هذا هو ابني الحبيب فله اسمعوا . » فشيء شبيه بهذا يحدث حين تجلّي النفس المسيحية ، اي وقتما ينزل الله فيسكن فيها بنعمته ، حينئذ تستنير بنور شمس الحق ، وتتوق اشد التوقان الى السماء ، ويشهد الرب بصوت ضميرها ، انها ابنته الحبيبة التي بها ارتضى .

ومن هنا يظهر ما يخوّله هذا المفعول للنفس من المجد الاثيل . لانه اذا كانت عظمة المرء متوقفة على التقرب من الله والتشبه به ، نجم ان الرجل الحاصل على هذه الخيرات وما يرافقها من الفضائل الادبية لهو اقرب من الرب. ومن ثم فهو امجد واسعد من الرجل الخالي منها . اجل لا بد في الشخص البارّ برّاً بشرياً طبيعياً من وجود بعض الاشعة من نور الله ، لكن ما اضألها وما انقصها ! اما في حالة النعمة ، فان النفس تجول في ميدان حياة الله عينها . فما يراه الله ، نحن نؤمن به ؛ وما يملكه الله ويتمتع به ، نحن نرجو الحصول عليه ؛ وما يحبه الله ، نحن نشرع في حبه . فان كان الامر كذلك ، افليس هذا مجداً وسمواً فائقاً ؟

ومع هذا ، ماذا نسمع حولنا ؟ نسمع ابناء هذا الدهر يدّعون ، لجهلهم ، ان الحياة الفائقة الطبيعة انحطاط للانسان ، لانها تنزع منه عظمته الطبيعية ، وتسلب منه ما فيه من المجد . ولكن اذا كان ذلك صواباً ، اي اذا كان يعتبر نقصاً وانحطاطاً الحياة الفائقة الطبيعة المضافة الى الحياة الطبيعية ، دون ان تهدمها وتمحقها ، بل تزيدها كمالاً ؛ اذا كان ذلك حقاً ، لاضطررنا الى القول ، في الامور الطبيعية ، ان قمة البناء خلل في الاساس ، وان الزهرة نقص في ساق النبات ، وان الاجنحة معرقلة طيران الطائر - والحال ان هذا ضلال ، فكذا الشان في ذاك . اجل ان ابناء الظلام ، لمهارة عقولهم وتصلب قلوبهم ، يتهمون الحياة الروحية ، الا انهم لعاجزون عن هدم قوتها ومحو اثرها ، لانها معدة للاستمرار ساطعة بانوارها على البشرية .

المفعول الثاني للنعمة هو انها تلقي الخصب في اعمالنا ، فتجعلها مستحقة الاجر . وهنا يمكننا ان نسأل : ما هي قوة اعمالنا بذاتها نظراً الى الحياة الابدية ؟ فيجيبنا التعليم الكاثوليكي : انها كلا شيء . والسبب في ذلك انه لكي تستحق هذه الافعال مجد السماء يتحتم ان تكون متناسبة هذه المكافأة السامية . فلو كان الله قد خلقنا لغاية طبيعية محضة ، او كان قد دعانا للتمتع به نظرياً ، او لرؤيته كما ترى الاشياء في مرآة ، لكان من طبيعة اعمالنا ان تصل الى هذا الحد . لكن لما كنا مدعوين للصعود الى العلاء ، فافعالنا خلو من

هذه المزية التي تفوق طورها . وكما ان الخلائق السفلى ، كالحيوانات ، لا تستطيع ان تبدي اتمالاً تفوق الحد الفاصل بينها وبين البشرية ، فافعالنا الادبية ، مهما كانت كاملة بشرياً ، لهي عاجزة عن تجاوز الحد الفاصل بينها وبين النظام الالهي ، اي الفائق الطبيعة ؛ ومن ثم فهي قاصرة عن ان تستأهل الاجر السماوي .

زد على هذا انه اذا كان من الامور الثابتة ان ليس من فضيلة ، كان في وسعها ، في حالة البرارة الاولى ، ان تبلغ الانسان غايته الابدية ، فما القول في اعماله ، وهو الآن في حالة السقوط التي ليست اوّل درجة من النظام العُلوي وحسبُ ، بل هي معاكسة له ، لا بل هي بالنسبة اليه كنسبة الموت الى الحياة . وكما ان الحياة الطبيعية لا يمكنها ان تخرج من جثة هامدة ، فالافعال المطاوبة للحياة الالهية ليست بقادرة على الصدور من نفسنا المصابة بموت الخطيئة الاصلية . وعليه فافعالنا بذاتها لا منفعة لها للحصول على المكافأة الابدية .

لكن هل يا ترى ان هذه الحالة صعبة هذه الصعوبة حتى انه يعدّ من قبيل المستحيل تلافيها ؟ او بعبارة اخرى ، هل نحن عاجزون كل العجز عن جعل اعمالنا تبلغنا السعادة ؟ الجواب ان كان هذا مستحيلاً على الانسان ، فلم يكن مستحيلاً عند الله . لان من شروط النظام ان يحصل المرء على الكمال بالاعمال ، ومن ثمَّ على المكافأة . ضروري من الجهة الواحدة ، ان يقدّم الانسان بعض التقادم لله ؛ ومن الجهة الاخرى ، اذ كان بذاته غير قادر على تقديم ما يليق ، عوّض الله عن هذا التقصير ، وقد اتخذ لذلك وسيلة ، وهي النعمة ، حسب تعليم الكنيسة المقدسة .

فاذا كانت النفس عائشة عيشة النعمة ، وكانت اعمالها صالحة صلاحاً ادبياً ، اضحت ذات استحقاق لطلب الاجر . ولا عجب في ذلك لانه لمــاّ كانت النعمة حياة الله فينا ، نجم اننا لسنا وحدنا العاملين ، لكن الله العامل فينا ، كما يثبت ذلك الرسول المجتبي بقوله : « لست انا الحيّ ، لكن المسيح هو الحيّ فيَّ . » واذا كان ذلك كذلك ، فاية غرابة في ان الاعمال التي هي اعماله ، بنوع ما ، تستحق مكافأة الحياة . لان عدم المناسبة بين هذا الاجر واعمالنا

البشرية البحتة لا يعود له وجود . اذ ان اعمالنا بصيرورتها الهية سماوية ، تضحي اهلاً لان ترقى بالاستحقاق الى السماء .

وهذا ما من شأنه ان يجعل في اطمئنان النفوسَ التقية التي يستولي عليها الفشل عند رؤيتها عجزها في العمل البشري ، اذ يخامرها الخوف مما عسى ان تكون قيمة جهدها الضعيف واعمالها الوضيعة ، امام العزة الصمدانية . بيد انها بنور الايمان تدرك ان ما يصدر من الله يليق به تعالى ، وانه ، عزَّ وجلَّ ، لا يمكنه ان يجزم من الاجر ذاك الذي يأتي اعمالاً هو ، سبحانه ، مبدؤها ومحركها .

وهذا ما يفهمنا نحن الكثيرين من المسيحيين الذين لا يبالون بالامور الدينية . فاننا نشاهد رجالاً ذوي فضل جدير بالاعتبار ، يقضون غالباً سنين طويلة في عمل الخير الطبيعي ، وتحتل التضحيات بشجاعة عجيبة ؛ نرى آباء عائلات باذلين الجهد ، دون تردد ولا تذمر ، في خدمة اولادهم وذويهم ؛ نجد وطنيين متفانين لبلادهم دون ان يبخلوا عليها بوقتهم ومالهم وخدماتهم ؛ نلقى اشخاصاً شعارهم العدل والاستقامة والشرف ، وهم سائرون بوجه دون خجل ولا فشل . اجل نرى رجالاً هذه خصالهم وهذه اعمالهم ، والحق يقال انها خصال حميدة ، واعمال فريدة . لكن هولاء الانام في الوقت عينه بعيدون عن اداء واجبهم الديني الفائق الطبيعة . فما قيمة هذه الافعال في نظر الله ، ونظرًا الى الاخرة ؟ نحن مضطرون الى الاجابة ، بكل أسف ، ان ذاك كله لا قيمة له ، لانه لا يتجاوز النظام الطبيعي ، ومن ثمَّ فليس مجريّ بالمكافأة المتفوقة على طبيعته . ويوم يمثل هولاء الناس امام ديانهم ، فلا يجد سبحانه على جباههم الختم الالهي ، وسمة النعمة التي تتسم بها النفوس للدخول الى السعادة الابدية ، يقول لهم : لا اعرفكم ؛ من اين انتم ؛ لاني لا ارى فيكم نور الحياة الخالدة ، وعلامة الاتحاد بابني الحبيب ، وشعار التبني السماوي .

واذا استمر مثل هولاء المساكين عشرين او ثلاثين او اربعين سنة محرومين من مفاعيل النعمة الالهية ، فكل يوم من حياتهم ، في هذه المدة الطويلة ، لا فائدة له للابدية ، واذا افتقدهم الرب برحمته ، آخر عمرهم ، فاثرت فيهم

نعمته ، فعادوا اليه تائبين ، فلا مكنة لهم ان يجدوا للحياة الدائمة الاعمال التي كانت للموت ، كل تلك الحقبة المديدة .

ولذا تناشد امنا الكنيسة النفوس المسيحية التي تستهين بقيمة النعمة ، وتطلب اليها ، بحق صالحها ومستقبلها الابدي ، الا تحتقر تحريضاتها وتضرعاتها ، بل تفتكر بمواعيد الله ووعيد عدله الالهي . فعلى مثل هؤلاء ان ينزلوا الى اعماق ضمائرهم ، وبعد اطلاعهم على حالهم البؤسى ، ليسرعوا في التخلص منها ، ويقبلوا النعمة التي تجعلهم ابناء الله ، ومن ثم اهلاً للاجر السموي .

* * *

بعد ان وقفنا على مفاعيل النعمة ، لنرَ كيف يجب ان يكون موقفنا او تصرفنا بالنظر اليها .

اول موقف يلزمنا ان نقفه تجاه مفاعيل النعمة هو موقف التجلة والاعتبار الذي ينشأ عنه الرغبة في الاحتفاظ بها . وهذا امر في غاية الوضوح . فان الناس من عادتهم الضنّ بالاشياء الثمينة . واذ كانت النعمة ذات ثمن لا يقدّر ، وكانت فاعليتها جزيلة هذه الجزالة ، لزمنا الاهتمام بصيانتها في قلوبنا بامانة . مما ينجم عنه وجوب اجتناب الشر الادبي ، اعني به الخطيئة قاتلة النعمة في النفوس .

وعليه نرى القديسين احكم الناس ، لانهم كانوا يقولون ويعملون بموجب قولهم وهو : « فليخرب العالم ، ان اقتضى الامر ، على شرط ان تبقى نفسنا غير مصابة بضربات شرّ الخطيئة . لنحرم من الشرف والثروة والسعادة ، فهذا لا يهمنا ما دامت فينا النعمة ، غنانا الوحيد . » اجل هذا ملخص مبادئ الاولياء واعمالهم . فانهم كانوا يسعون ، قدر المستطاع ، في حفظ النعمة في قلوبهم ، وصيانتها صونهم اثمن الكنوز . فكانوا ابلغ حكمة من كثيرين من المسيحيين ، اذ ما اقلّ الذين يهتمون بهذا الكنز حقّ الاهتمام ، وبالعكس ، ما اكثر الذين لا يبالون به ، فيطرّحون نفوسهم في المخاطر ، كأن لا قيمة لها للأبدية . واما نحن فلنقتفِ آثار الابرار والصديقين ، ضانين بهذه الدرة الكريمة العائدة بالمجد الحقيقي على النفس البشرية .

الموقف الثاني هو موقف الراغبين والجادّين في ان يكثروا ، وهم في حال النعمة ، من الاعمال المصنوعة لوجهه عزّ وجلّ .

ان المذهب البروتستاني اخترع نظرية غريبة في خصوص استحقاق النفوس . فانه يدّعي بان الاعمال الصالحة لا تسوى شيئاً ، وان الايمان وحده يكفي للوصول الى الله ، وان يسوع المسيح قد خلصنا بافضاله ، وانه قد اتحدنا معه بالروح ، فنحقق بذلك الشرط الوحيد المطلوب لاسعادنا في جنّة الخلد . ان الخاصة الوحيدة لهذه النظرية هي سهولتها ، لانها بالحقيقة قد فتحت باباً واسعاً وبسطت مجالاً رحباً ، للاهواء الرديئة باجمعها ، بمنحها الانسان الحق المشؤوم الملخص بقول لوتيروس الشهير : « أخطئ كثيراً ، لكن اؤمن اكثر ، فالخلاص مضمون لك . » بيد انه مهما يكن من سهولتها ، فهي قصيّة عن الصواب لكونها غير لائقة لا بالله ولا بالطبيعة البشرية . هي شائنة لله ، لمناقضتها جميع الغرائز الادبية التي ركّزها هو تعالى في طبيعتنا . وهي شائنة للانسان نفسه لانها تنزع منه خاصة العمل والجدّ ، جاعلة اياه خليقة جامدة عاجزة عن اي عمل فعّال بالنظر الى خلاصه ومجده الابدي .

اما الصواب فهو ان الاعمال الصالحة ضرورية ، لما تقدم من التبيان ، وان الايمان ، دون اعمال ، مائت بحسب تعليم مار يعقوب الرسول . الصواب انه كلما ازدادت اعمالنا الحسنة في هذه الحياة ، ازداد مجدنا في العالم الآتي .

ان في السماء منازل كثيرة ، حسب قول الرب ، لاسه السجود . وكما ان النجم يختلف عن اخيه النجم بنوره ، فالمختارون ايضاً يختلفون في درجات المجد ، في الفردوس السماوي . وكما ان النور ينتج نتائج متضاربة في الاجسام المتباينة الاستعداد ، فكذلك تكون نتائج احوالنا في الحياة الدائمة .

هذا هو الحق وهذا هو العدل . لان العقل ذاته يشهد بان القديس الذي قضى سحابة عمره متفرّغاً لممارسة الزهد والاماتة والتقشفات الجسدية المتنوعة لهو حريّ بان يفوز بمجد اعظم وابهى من مجد الرجل الذي يتوب في الساعة الاخيرة من حياته ، ولا يكون قد قدّم لله سوى بقايا عيشة ممتنة لخدمة العالم ، واتباع اباطيله ، والتمتع بلذاته . وهذا ما يبيّن لنا وجوب الاكثار من الاعمال الجيدة

التي من شأنها ان ترفع درجة مجدنا . ومن ذلك يتضح ان التأهل في ذا الامر لما يندم عليه المرء ساعة الموت ، تلك الساعة التي يتمنى فيها ان يكون قد عمل كل شيء حباً بالله ، وعاش لخدمته ؛ بيد انه يكون قد ندم حين لا ينفع الندم . فاليوم ما دام الوقت بيدنا ، لنكثر تفوسنا مؤونة تلك الحسرات ؛ لنكسب ، ولنبالغ في كسب الاجر والثواب العائد علينا بالفائدة الكبرى في الآخرة .

لكن ما هي الاعمال الصالحة التي تبقي فينا الحياة الفائقة الطبيعة ؟ اذا سألنا الكنيسة المقدسة عن الشروط الضرورية لحفظ النعمة وانمائها ، اجابتنا ان اول هذه الشروط هو الايمان بكلام المسيح القائل : « من آمن واعتمد فقد خلص . » فالايمان — وليس الايمان المبهم ، لكن الايمان الثابت بالحقائق المعينة الموحى بها وقد اثبتتها الكنيسة — اجل هذا الايمان هو اول واجب علينا لصون هذه الوديعة المقدسة الثمينة . ثم بعد الايمان يلزم حفظ الوصايا ، حسب قول الرب عينه : « من يحبني يحفظ وصاياي اذهبوا الى العالم كله ، وعلموا الامم ان يحفظوا ما اوصيتكم به . » وكلمة الوصايا تشمل — ما عدا الشرائع المكتوبة على صفحات الضمائر البشرية والمعلنة كتابةً في التوراة — الاوامر والنواهي التي وضعها السيد المسيح واذاعتها الكنيسة واضافة اليها سننها الخاصة ، الخلاصة : وصايا الله ووصايا الكنيسة .

فالايمان بكلام المسيح وحفظ وصاياه هما اذن الوسيلة للبقاء في حال النعمة ومن ثم لنيل الاجر الابدي . ونفهم سبب حدوث ذلك بهذه الطريقة ، اذا لاحظنا تلك السنة الطبيعية ، سنة نمو البذور بتمثل العناصر المناسبة لطبيعتها ، والتي تجدها في المنابت الملقاة فيها ، وهي سنة متحققة في جميع طبقات الاحياء . كيف يا ترى ينمو الحيوان ، الا باستعمال هذه القوة العجيبة ، قوة تمثل العناصر المجاورة له والموافقة لكيانه الذي اتاه بالولادة ؟ كيف تتوسع في الولد بذور الحياة العقلية والادبية الا بمساعدة عقله وحريته الموضوعات التي تنيره بضيائها الداخلي فتمكنه من تمييز الحق والعدل ؟ فعلى هذا المنوال يجري الامر في الحياة الفائقة الطبيعة . فان النعمة نور وقوة ملقاة في نفس الانسان . تتنمو بتمثلها

اعماله الادبية المصنوعة بحرية ، حسب تدابير العناية الالهية . ولا عجب من نفوذ الرب في تعيين تلك الاعمال ، لما هو مقرر من ان الخلائق جديرة بان تدرّب في سبيل تقدّمها ، وتساق الى غايتها القصوى ، بفعل العلة التي اوجدتها . وبما ان الكلمة المتأنس هو علة حياتنا الفائقة الطبيعة ، وقد استحقها لنا باهراق دمه الزكي ، ويفيضها علينا بقوة متواصلة ، كان من اللائق ان تكون افكاره افكارنا ، وان تدل ارادته على ارادة العناية في تسييرنا نحو غايتنا ، وان يخضع عقلنا للوحي الذي انزله ، وتتبعه ارادتنا ، ليقودها في سبيل الخير السامي الذي اتى به الى العالم .

على هذه الحقائق الثابتة مبنية الواجبات المسيحية . ولهذا ليأخذ منا العجب مأخذه لدى رويتنا اناساً هذا عددهم يحاولون التخلص من الخضوع ، بالروح والارادة ، لشرائع الله وكنيسته ، وبذلك يحرمون نفوسهم من مفاعيل النعمة ويجعلون خلاصهم في خطر جسيم .

من التصاوير الدينية صورة متقنة الصنع يُرى فيها طائفة من القديسين مجتمعين بشكل حلقة طائفين طوافاً متئداً ، طواف الغبطة والسرور ، حول العزة الصمدانية غير المنظورة ، تعظيماً واجلالاً لها ، فهذه الصورة خليقة ، والحق يقال ، بان تكون رمزاً عما يتطلبه منا وجود النعمة في نفوسنا . لان الله بفعل هذه النعمة حاضر فينا ، ينيرنا بنوره ، وينعش آمالنا بمواعيده ، ويحبنا محبته . لكنه يريد ، مقابلة لهذه المنح التي تشركنا في حياته الالهية ، ان تكون حياتنا مقدسة ، حياة البهجة والحبور ، وان تنشد اناشيد الغبطة ، موقعة على آلات الايمان يوحيه ، والخضوع لوصاياه .

فعسى جميع المسيحيين يدركون هذه الحقيقة ، فيقدرون النعمة حق قدرها فيستمدونها من ينبوعها الالهي ، ويجهدون في المحافظة عليها اشدّ المحافظة ، على مثال القديسين ، ويكثرون من الاعمال الحسنة ، وهم في حال النعمة المقدسة ، فيكنزون لهم كنزاً في السماء ، يجدونه يوم ملاقاتهم الرب يوجه مسفر ، فيدخلون معه الاخدار الابدية .